الآداب واللغات المجلد 12 / العدد 01 2026 /ص 44 – 51

صورة البطل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة قصة "عبد الله" لمحمد شنوفي

–أنموذجا-

The image of the hero in the contemporary Algerian short story The story of "Abdallah" by Mohamed Chenoufi

-as a model–

هشماوي رقية

تاريخ الإرسال: 2023/12/25	تاريخ القبول: 2024/08/29	تاريخ النشر:مارس 2026

الملخص:

تعددت القضايا والمواضيع التي تناولها الأدب الجزائري المعاصر بمختلف أجناسه، لكنه ظل طوال مسيرته مخلصا للقضايا الاجتماعية والانسانية، وقضايا الأمة عموما، معبرا عنها بكل صدق ووفاء، حيث تميز بالتعبير عن الواقع المعيش بطريقة فنية إبداعية، وتصوير معاناة أو مغامرات الشخصيات بالأدوات التعبيرية الجمالية، والقصة القصيرة من أهم هذه الأجناس التي عبرت بطريقة محبكة عن واقع الإنسان العربي بصفة عامة والجزائري خاصة، لذلك كانت قصة عبد الله للكاتب محمد شنوفي محور بحثنا، للبحث عن حقيقة بطل هذه القصة، فكيف صور الكاتب بطله؟ وما الذي ميز هذه الشخصية لتعتلي عرش البطولة في قصته؟

الكلمات المفتاحية: : قصة- قصيرة- عبد الله- البطل.

There were many issues and topics dealt with by contemporary Algerian literature of various kinds, but he remained throughout his career loyal to social and humanitarian issues, and the issues of the nation in general, expressing them with all sincerity and loyalty, as he was distinguished by expressing the lived reality in a creative artistic way, and portraying the suffering or adventures of the characters with aesthetic expressive tools, and the short story is one of the most important of these races that expressed in a knitted way the reality of the Arab person in general and the Algerian in particular, so the story of Abdullah by the writer Mohamed Chenoufi was the focus of our research, to search for the truth of a hero This story, So how did the writer portray his hero? And what distinguished this character to ascend the throne of heroism in his story?

Key words:Short Story- Abdullah- The Hero

*** *** ***

هشماوي رقيةhachemaoui.rokia@univ-alger2.dz

مقدمة:

لقد صاحب السرد الإنسان مذ خلقه الأول، ورافقه حاملا ذكرياته وحياته بكل مناقبها ومثالبها، والقصة من أكثر الأجناس مرافقة ووفاء للبشرية، ولابد أن أهميتها وشأنها علا أكثر بعدما نزل القرآن الكريم وقص علينا أحسن القصص في كتابه الكريم، ثم استمرت القصة في التطور والنمو كجنس أدبي مستقل بذاته، وكانت لكل قصة حكاية تُروى لشخصية منفردة مميزة عن غيرها، فلولا تلك الشخصية التي أغوت الكاتب بتفردها وعجيب أمرها، تلك الشخصية الخارجة عن المألوف في تفكيرها تصرفاتها واعتقاداتها، ما كان للقصة معنى، بذلك نجد كل قصة تتمحور حول هذه الشخصية لتسرد لنا إما عن حياتها، أو عن مواقف وأحداث خاصة ومميزة، هذا ما يجعل هذه الشخصية تتبوأ مقعدها في الصدارة وتحمل لقب بطل القصة، فمن هو بطل قصتنا؟وما الذي ميزه عن غيره؟ وكيف صوره الكاتب؟

القصة القصيرة والبطولة:

القصة عموما هي شكل من أشكال النثر الفني، والقصة القصيرة شكل أدبي حديث، وهي قصة محكمة البناء، تبنى على حدث مرتبط بزمان ومكان وموضوع محدد، وهي "تجربة إنسانية يعبر عنها أدبيا بأسلوب النثر: سردا وحوارا، من خلال تصوير شخصية فرد أو جماعة أفراد، يتحركون في إطار اجتماعي محدد المكان والزمان"[i]، ويعود ميلاد هذا الجنس الأدبي النثري في الجزائر كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض إلى الكاتب الجزائري محمد السعيد الزاهري، حين نشر مجموعته القصصية في جريدة الجزائر تحت عنوان "فرانسوا والرشيد"[ii]، ثم بقيت تتطور وتنمو إلى يومنا هذا، مع العديد من الكتاب المبدعين.

القصة كما قال انريكي أندرسون إمبرت هي ابتكار[iii]، كيف تكون ابتكار؟ ربما يكمن الابتكار في إبداع مادة القصة وحكايتها، أو في طريقة الحكي والسرد، و" هناك بعض القصص القصيرة التي تتمثل ملامح جمالها في عالمها الداخلي، وأخرى في نمطية سردها"[iv]، فإذا ربطنا الابتكار بالجمال في هذا القول اتضح أنه يكون إما في القصة ذاتها أو طريقة سردها.

غالبا ما تتمحور القصة القصيرة حول شخصية معينة تصف بطولاتها ومغامراتها، وأكثر المواضيع التي شغلت فكر القاص الجزائري المعاصر –إن لم نقل جلها- هي تلك المواضيع ذات الطابع الاجتماعي والنفسي، التي تعالج في معظمها مشاكل اجتماعية ونفسية، بقالب قصصي إبداعي، لذلك ارتأينا لاختيار قصة "عبد الله" للقاص الجزائري المعاصر محمد شنوفي، والتي سنكشف عن خبايا وأسرار

هذه الشخصية التي أخذت دور البطولة، فما الذي جعلها تتبوأ هذه المكانة؟ بمعنى آخر ما الذي ميزها عن غيرها لتجسد بطل القصة؟

الشخصية البطولية:

إننا إذا ما سألنا أي شخص ما مفهوم البطل في نظرك؟، لابد أنه سيجيب أنه ذاك الشخص القوي الذي لا يهاب شيئا، أو سيقول ذلك الذي يملك شخصية قوية، ربما أيضا يقول صاحب العضلات والجسم القوي... فكل إنسان يصف لنا هذه الشخصية حسب وجهة نظره، وبالتالي فإن مفهوم البطل مفهوم زئبقي يتوافق مع الظروف الاجتماعية والنفسية وحتى التاريخية، لذلك فهو يبنى من خلال رمزية المجتمعات، فلكل مجتمع بطله الخاص به، وما هو معروف أن الأديب مهتم في عموم أعماله بأحوال مجتمعه وقضاياه، لذلك كان البطل في الأعمال القصصية هو الشخصية المحورية التي تبني عليها أحداث القصة، وهو في صورته العامة الشخص المضحي أو القادر على التضحية بقدر أكبر، فلا بد أن سمة التضحية هي السمة المشتركة بين جميع أبطال القصص، فالبطل " يُقبِل على التضحية إراديا، فيرسخ القيمة المحفزة للتضحية ويجعل منها مبدأ متعاليا"[v]، بذلك يكون قدوة لغيره.

غالبا ما يلجأ الكتاب لوصف البطل على أنه شخصية قوية لا تقهر، وأنها شخصية ذو هبة وقوة وشجاعة، وهذا مفهوم مرتبط مع مفهومه اللغوي الذي ورد في المعاجم العربية، إذ تم ربط المفهوم بالشجاعة[vi] فهو شخصية ذو سلطة وسيطرة –إن دق التعبير-، شخصية فاقت سواها من الناس ، كما صور الإنسان العربي البطل بفروسيته وشجاعته، وإقدامه، وكرمه، وأخلاقه الفاضلة...، فالبطولة عندهم "تستند على قوة الجسد والبأس الشديد"[vii]، وقد كانت البطولة عند العرب منذ القديم تتخذ من الواقع ملجأها، إذ تجسد الشخصيات بطولات واقعية بعيدة عن الأساطير والخرافات*، فكانوا يصورون البطل إنسان بشري من سلالتهم، "لا من سلالة الآلهة وأنصاف الآلهة، وبشر سوي لا يعلو على الحدود البشرية الإنسانية" [viii]، وهذا ما يجعل منه بطلا، إذ ينفرد عن غيره رغم تكافؤ الإمكانيات لديهم، أما البطولة في اللغة فهي: "الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع فيها البطل عمن حوله من الناس العاديين، ارتفاعا يملأ نفوسهم له إجلالا وإكبارا"[ix]، فما الغلبة التي تميز بها عبد الله بطل قصتنا عن أقرانه؟

صورة عبد الله بطل القصة:

تعددت أشكال البطولة في الأدب العربي والجزائري وتنوعت، فنجد من الأدباء من يتغنى بالبطولة الحربية التي تقوم على "الاستبسال في القتال، [والنفسية التي تقوم] على احتمال الشدائد والحلم والحزم

والأنفة والعزة، [والخلقية والتي تقوم] على صيانة الشرف وعلى الكرم والوفاء بالعهود وحماية الجار"[x]، فكيف كانت بطولة عبد الله؟

لا تكاد تخلو أي قصة قصيرة من تمظهرات صورة البطل في القصة الجزائرية المعاصرة، وعبد الله هو بطل قصتنا اليوم، وقد اختار القاص أن يضع اسمه كعنوان لقصته، ولابد أن هذا تأكيد من القاص على أن عبد الله هو بطل قصته ومحور إلهامه،وبما أن البطولة مفهوم متغير حسب فكرة الكاتب واتجاهه، ويختلف مفهومها من قصة إلى أخرى، فإن البطل لابد له أن يجسد الدور الذي يلعبه، وهنا في هذه القصة فإن البطل ذو شخصية طيبة بريئة ومحبة، وهذا ما يبدو واضحا وجليا في بداية القصة حين قال القاص:

"وهو يحب لغيره كما يحب نفسه"[xi]

فهو شخصية محبوبة سيرتها على جميع الألسن،لكن رغم كل هذا لا يكف العالم عن استفزازه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن إخراجه عن هذا العالم الذي يعيشه داخله، وبطل القصة كونه في محاولة دائمة على عدم التأثر بالعالم الخارجي الذي أحاط به، إذ أنهم يحاولون تلويث باطنه وتغيير فطرته السوية، وقتل مروءته، وهدم أخلاقه، وهذا باستفزازه وجره إلى ذلك العالم الفاسد، المليء بالحقد والكراهية والانتقام والعداوة، بذلك فبطل قصتنا يجسد البطولة النفسية والأخلاقية في آن؛ بحيث جمع بين تحمل الشدائد والحلم والمروءة والعزة، من خلال صبره وهدوئه مع شدة ونكد زوجته، وهذا واضح من خلال المشهد الذي صوره القاص في قوله:

"...فإذا بدوخة -[زوجة عبد الله]- في الساحة تنتفض كالملدوغة.. وعندما وصلت كان عبد الله ينتصب على حمارته، وقد عاد لتوه من السوق، وانفجرت في وجهه:

- نعجات الشيخ رابح عبثت اليوم بزرع المشتى، يقينا أنه تعمد تسييبنا.

وحافظ عبد الله على هدوئه وهو ينزع عن حمارته البردعة والأحلاس..." [xii]

في تحليلنا لهذا النص نجد أن القاص وصف زوجة عبد الله بالملدوغة، أي شخص لدغه حيوان سام، وهذا يدل على أنها كانت هائجة من الغضب، ثم استخدم كلمة "انفجرت" ليؤكد على مدى غضبها وهيجانها، وهذا إن دل إنما يدل على حدتها ونكدها وشراستها -إن دق التعبير-، ثم وصف سوء ضنها وفظاظتها مع جيرانها عن طريق قولها أن الجار تعمد أن تعبث نعجاته بمشتلهم، لكن عبد الله رغم كل

هذا الاستفزاز حافظ على هدوءه وروعه، وقد ذكر القاص هذا بوضوح، وهذا مثال على البطولة النفسية التي جسدها البطل؛ إذ أنه صبور يتحكم في نفسه ولا يسمح لمن حوله بقتل مروءته، أو إفساد طيبته مهما كثرت عليه الضغوط.

أما وفاؤه وكرمه وحمايته لجاره ورد السوء بالتي هي أحسن، والذي جسد بها البطولة الأخلاقية فقد كان جليا في قول القاص: "وهو يحب غيره كما يحب نفسه، وإذا تخاصم أمامه الخصوم [...] سعى بينهم مسعى الخير ولا يتركهم حتى يتعانقوا.."وقوله: "وقد يقال أن منبع الطيبة في عبد الله أنه لا ينظر للأشياء إلا على أنها أشياء..."[xiii].

إذن فشخصية عبد الله تميزت بالطيبة والحلم والرزانة، كما أنها شخصية محبوبة من جميع أفراد القرية، مما جعله في رأيه –القاص- محور مجالس القرية، ولا تحلو المجامع إلا به وحتى إن غاب فإن الحديث يدور حوله، وهذا دليل على شدة حب الناس له ولمجالسته، كما أنها دليل على حسن خلقه وطيب شخصه، ومعلوم كما ورد في الحديث الشريف لنبي الله صلى الله عليه وسلم أن الله إذا أحب عبدا وضع له القبول في الأرض وأحبه الجميع.

البطل في هذه القصة من حيث وجهة نظر الكاتب، شخصية تغلبت على جميع مؤثرات العالم الخارجي بطريقتها الخاصة، لتحافظ على أخلاقها وفطرتها السليمة رغم أميته، ورأيه يبدو جليا حين قال: "...وليس معنى هذا أننا نقر أن للجهل فضائل. إنما هي الفطرة السليمة، والخبرة بالحياة تنمو بعيدا عن الغرور"[xiv]، فتوظيفه للفظة فضائل هنا إقرار واضح على ما يمتلك عبد الله من فضائل، ثم أقر مباشرة بفطرة بطله السليمة التي لم تشبها شائبة، وخبرته في الحياة؛ إذ يرى أنه خبير بالحياة فطن وحكيم، وبهذا اختار أن يكون شخصا طيبا لا يؤذي ولا ينتقم، ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف، ولا يهتم بصغائر الأشياء ويرى السخف الذي يخلقه العناد والغرور. بهذا كان شخصا يعيش من أجل الخير وفعل الخير والأمر بالخير، وقوته وبسالته تكمنان في كونه لا يدع محيطه الخارجي يؤثر فيه، بذلك فهو في حرب دائمة مع نفسه، فربما تأتيه وساوس مثل أي بشري، أو أي شخص في تلك القرية ليقابل السوء بالسوء، أو حتى ليدافع عن نفسه حين تتهمه دوخة بالجبن، لكنه اختار أن يكون إنسانا طيبا هادئا يتحمل كل تلك الأمور بينه وبين نفسه لأنه يؤمن بأنه: "ما يأخذ الإنسان معه إلا فعله"[xv].

من جهة أخرى قد تبدو شخصية عبد الله لفئة أخرى من القراء أنها شخصية ضعيفة لا يمكن لها أن تدافع عن نفسها، وهي شخصية مجردة من صفات البطولة، من شجاعة وجرأة في مواجهة الآخرين، إذ

يتصف بالجبن وضعف الشخصية، كون زوجته تتحكم فيه، فالمجتمع العربي عامة والجزائري خاصة مجتمع يؤمن بالهيمنة الذكورية، وأنه من الرجولة أن يتحكم الزوج في زوجته ويكون كلامه أعلى من كلامها، لكن عبد الله في هذه القصة كان شخصا غالب على أمره، كما أن القاص استخدم رموزا تعبيرية تجعل القارئ يتجه بتفكيره أن شخصية عبد الله شخصية ضعيفة، فمثلا لماذا استخدم الكاتب مصطلح حمارة بدل حمار كما جرت العادة؟ بالرغم من أنه استخدم كلمة حمار مع ذلك الرجل الشبح الذي كان مع الصبي فقد قال: "كان هناك شبح رجل على حماره وإلى جواره شبح صبي.."، فهل هذه إشارة إلى الضعف والعجز إما في البنية أو في الشخصية، كون الأنثى أقل قوة من الذكر؟

كما أن زوجته تهينه في كل مرة، ومثال ذلك قولها حين وقفت على رأسه وهو مستلقي تحت النخلة:

" الله يرحمك يا العياشي ماذا خلفت؟"

وواضح أن العياشي هو والد عبد الله،واستهانة دوخة هنا بزوجها واضحة ومقصودة، وحين قولها له :

"...أنت بهلول.."

بمعنى شخص أبله وغبي، فلم يكن عبد الله يرد عليها أو حتى يمنعها من أن تهينه، فربما هذا ما يجعل القارئ ينظر إلى عبد الله نظره استصغار، فهل القاص هو الذي أراد أن يصور بطله بهذه المفارقة؟ وهل تعمد ذلك؟ لاسيما أن القاص ذكر في قصته أن عبد الله غالبا ما يحضر بدل الصابون أو الزيت.. الملح أو الكبريت، وقد أكد في نهاية القصة أنه يستمر في شراء الشمع أو الملح بدل السكر..، فهل قصد الكاتب هنا أن عبد الله شخص لا مبالي وفاقد للتركيز؟ أم قصد أنها شخصية متعبة ومرهقة نفسيا ومستنزفة من مجتمع لا يقدر ما يقوم به من تضحيات لكي يساهم في إسعاد الآخرين؟

تبدو وجهة نظر القاص في بطل قصته جلية وواضحة، إذ من الواضح أن اتجاه الكاتب يبدو ايجابيا نحو هذه الشخصية، فقد جسدت تلك الشخصية الهادئة المتزنة التي تتسم بالحلم والرزانة والهدوء، وهي سمات لا يمكن لشخص ضعيف أن يتصف بها، كما أنه "يسعى جاهدا ومحاولا للتغيير وذلك عما يحمله من إحساس وإرادة باطنية قادرة على تغيير العالم"[xvi]، فهو شخصية تؤمن أن الخير هو السبيل الوحيد للنجاة من كل الشرور التي تواجه الإنسان، كما أنه يؤمن أن الحياة فانية ومجرد محطة قصيرة المدى والإنسان لا يأخذ منها إلا أعماله، وهو يمثل بهذا ذلك النموذج البطل الذي يحتذي به، وهو المثال الأعلى

في الأخلاق الحميدة، والقدوة الحسنة في قريته، وهو كذلك بمثابة مصلح اجتماعي يحاول دائما فض النزاعات والمشاكل التي تقابله.

إذن فبطل قصتنا هذه جسد العديد من الأدوار في آن واحد، إذ كان أولا بمثابة البطل الأخلاقي والنفسي، ومصلحا اجتماعيا وفاعل خير، فاجتمعت فيه بذلك كل صفات الحسن، رغم أنه لا يبدو هكذا لزوجته؛ إذ كانت تراه شخصا أبلها غبيا، لا ينجح حتى في إحضار قائمة المشتريات المناسبة، فهو في نظرها شخصية لا تستطيع تحقيق أي نجاح في حياتها، فلولاها ولولا حسن تدبيرها لما استطاعوا العيش، كل هذا من وجهة نظرها ونظر بعض أقرانها من المجتمع، وقد تعمد الكاتب إبراز هذه المفارقة لكي يوضع معاناة عبد الله ومدى صبره وتحمله، وكم أنه يتحمل الانكسار والإحباط المحيط به، رغم محاولة عبد الله في تغيير شخصه، وقد بدت هذه المحاولة حين قال لدوخة بعد أن أهانته كعادتها قائلة:

-الناس ينظرون إلى فوق ... وأنت تنظر دائما إلى تحت.

وذلك بعدما رأته مع ذلك المتسول المسكين، فلم يصمت عبد الله كعادته، بل رد عليها قائلا:

-مرة قلت أعمل بنصيحة دوخة، أمشي ولا أنظر إلا إلى فوق... إلى فوق فقط...

وقاطعته دوخة هازئة:

- وبعد ذلك هل وجدت نفسك تصعد إلى السماء؟

وتمهل عبد الله كمن يعتبر ، ثم قال:

- أبدا إنما وجدت نفسي أجلد بالأرض، فمي يمتلئ بالتراب.

وهذا دليل على الصراع الذي يعيشه عبد الله بينه وبين نفسه، فمحاولته لتغيير نفسه دليل قاطع على ذلك، فبالرغم من أنه رجل بشوش ومهذب وخلوق حلو المعشر، وطيب الكلام، يسعى في قضاء حوائج الناس والمحتاجين، إلى أنه يتعرض لإساءة نفسية يكتمها داخله دائما، كون المحيطين به يعتقدون أنه آلة مصنوعة لفعل الخير لا مشاعر له، إلا أنه بشري يحزن ويغضب إنما اختلافه يكمن في حسن تحكمه بمشاعره.

قد يختلف البعض معنا في هذا التحليل لشخصية عبد الله –والاختلاف رحمة- فيقول عكس ذلك إنما هو شخصية تعيش بسعادة واطمئنان وراحة بال، لكننا إذا ما تمعنا في قراءة مابين السطور، يبدو لنا أنه جسد نوعان من البطولة، فقد كان البطل المضحي، والبطل الضحية؛ مضحي من خلال صبره واحتسابه، يترك نفسه في سبيل إسعاد الآخرين، وضحية لكلام الناس حوله ولزوجته غليظة الطباع.

خاتمة:

في ختام القول لابد من الإشارة أن صورة البطل في القصة تعكس وجهة نظر القاص الشخصية، ثم أنها بمثابة رسالة أخلاقية بها يدعو القاص الناس للالتفات إلى هذه الأنواع من الشخصيات، فهم أناس مثلنا يريدون العيش بطمأنينة يريدون من الناس مساندة واستماعا، يبحثون عمن يسير معهم بقلوبهم لا بألسنتهم، يفهمون أنهم يتعبون يحزنون ويغضبون كجميع الناس، فالعيش مع كل هذه التناقضات أمر ليس باليسير، والتعايش مع شخصية مثل شخصية زوجته الصعبة التي لا تتوافق وشخصيته بشيء ليس بالأمر الهين، إذن فالقصة بمثابة دعوة مفادها لا تقتلوا المروءة بينكم.

الهوامش:

1. [i] هاشم ميرغني: بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحددة، ط1، الخرطوم، 2008م، ص47.
2. [ii] عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م. ص7
3. [iii] إنريكي أندرسون إمبرت: القصة القصيرة النظرية والتقنية، تر: علي إبراهيم علي منوفى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1999م. ص17.
4. [iv] المرجع نفسه: ص 17.
5. [v] محمد كاديك: إشكالية صناعة البطل في أدب الطفل، مجلة جسور المعرفة، المجلد3، العدد12، ص191.
6. [vi] ينظر في: الفيروز أبادي، ابن منظور، مادة بطل.
7. [vii] شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، ط2، القاهرة مصر، 1984م. ص13.
8. *ما عدا الحكايات الخرافية والتي نفاها العديد من الأجناس الأدبية منهم طه حسين الذي لم يعترف بها كجنس أدبي ففي فهي ضمن الأدب الشعبي.
9. [viii] المرجع نفسه، ص13.
10. [ix] المرجع نفسه، ص9.
11. [x] المرجع نفسه، ص5.
12. [xi] عبد الله: مجلة الكاتب الجزائري، تصدر عن: اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد2، محمد شنوفي، 2005م.
13. [xii] المرجع نفسه.
14. [xiii] المرجع نفسه.
15. [xiv] المرجع نفسه.
16. [xv] المرجع نفسه.
17. [xvi] عبير حامد محمد العويضي: صورة البطل في القصة القصيرة السعودية، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2014م، ص31.